مجلة المجمع العلمي

نظرية الاشتقاق الاكبر
عند ابن جني في ضوء الدراسات المعاصرة

قاسم كامل محمد
كلية الآداب – جامعة الانبار

الملخص :

يتعرض هذا البحث للاشتقاق الاكبر وما يترتب عليه في تنمية اللغة العربية ، لانه أحد مصادر تلك التنمية ، وقد انتهى البحث بخلاصة وافية للبحث ودوره في هذه المسألة .

المقدمـــة :

تعريف الاشتقاق : للاشتقاق معنيان : أحدهما لغـوي ، والآخـر اصطلاحي ، فمعنى الإشتقاق اللغوي هو : " أخذ شقّ الشيء " أي نصفه ، أو جانب منه ، ومنه قالوا : " اشتقّ الفرس في عدوه " يريدون أنه مال في أحد شقّيه "، وقالوا " قعدوا في شقّ من الدار " يريدون في ناحية منها .[1]

أما معنى الإشتقاق الاصطلاحي فهو : " أخذ صيغة من أخـرى مـع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة وتركيبا ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها ، اختلفا حروفا أو هيئة ، كضارب من ضرب وحـذر من حذر " .[2]

---

[1] دروس في التصريف /١٠ .

[2] فقه اللغة وخصائص العربية /٧٧ ، الوجيز في فقه اللغة / ٤٠٢ وانظـر الأشـباه ج١ /٥٦ وكتاب الإشتقاق .

وعن أهمية الإشتقاق : نرى أن البحث في الإشتقاق وماهيته وأهميته في نمو اللغة وتطورها واتساعها ، قد نال عناية اللغويين قديما وحديثا ، وأن علماء اللغة القدامى أدركوا أهمية الإشتقاق في نموها ، وألف فيه نفر كبير منهم ، يقول السيوطي (ت٩١١هـ) : " أفرد الإشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين ، منهم الأصمعي وقطرب وأبو الحسن الأخفش ، وأبو نصر الباهلي والزجاج وابن السراج والرماني والنحاس وابن خالويه " .[٣]

كما نال عناية المحدثين في بحوث منفرده في مطلع القرن الرابع للهجرة ، كما في رسالة السراج ، وكما نراه أيضا في كتاب الإشتقاق لابي بكر ابن زيد صاحب الجمهرة .

والخلاف في نشأة اللغة تبعه خلاف في أنواع الإشتقاق أيضا ، ثم تبع هذا خلاف في أصل المشتقات ، هل هو المصدر أم الفعل ؟ فالبصريون ومنهم – الزجاجي – يرونه المصدر ، والكوفيون يرونه الفعل ، ولكل من الفريقين حججه ، وقد فصل – ابن الأنباري – ذلك كما اشار إليه العكبري في كتابه " مسائل خلافية في النحو " .

وفي الوقت الذي نجد علماء اللغة يكاد يجمعون على الإشتقاق الأصغر في العربية وكثرته فيها ، وتوليده قسما كبيرا من متنها ، في حين نجد طائفة قليلة من الباحثين القدامى ، ينكرون وقوع الإشتقاق كافة ، زاعمين : " أن الكلم كله أصل " .[٤]

---

[٣] المزهر ١ / ٣٥١ .

[٤] الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة /١٧١ ، فقه اللغة وخصائص العربية /٦٩ .

أما الإشتقاق الأكبر ، فهو عبارة عن تقليب المادة الثلاثية الاصلية إلى مجموعات صوتية ثلاثية ، تتصرف كل واحدة منها إلى مدلول يشترك مع المدلولات الخمس الأخرى التي ينبثق عنها هذا التقليب بشيء من نسب ٠

ويقول السيوطي : " وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة ، فيجعل (ق و ل) و (و ل ق) و(ل ق و) وتقاليبها الستة بمعنى الخفة والسرعة " [٥]

ومن العلماء من يسمي الإشتقاق الصغير و الأصغر ويسمي الإشتقاق الكبير والأكبر ، وهذا اختلاف في التسمية ، وليس خلافا في حقيقة واحد منها والغالب في تسميتهم هو أن الإشتقاق على ثلاثة أقسام[٦]، وذلك أن التناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه ، إما أن يكون في المعنى وفي اللفظ جميعا مع ترتيب الحروف الأصول فيهما نحو : ذهاب وذهب ويذهب ، وهو ذاهب ، ونحو : جلوس وجلس ويجلس ، وهو جالس ، ونحو : ضرب وضرب ويضرب ، وهوضارب ومضروب ، ويسمى الإشتقاق الصغير ٠

وإما أن يكون ذلك التناسب في المعنى وفي اللفظ جميعا مع عدم الترتيب في الحروف الأصول نحو : جذب وجبذ ، وحمد ومدح ، وآن وأنى ، وأيس ويئس ويسمى الإشتقاق الكبير ٠

وإما أن يكون في المعنى وحده ، ويكون مع ذلك أكثر حروفهما من نوع واحد ، وباقيها من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين

---

[٥] المزهر ١ / ٣٤٦ .

[٦] دروس في التصريف /١١ .

نحو : ثلب وثلم ، ونعق ونهق ، وهن وهتل ، ومدح ومده ، ويسمى الإشتقاق الأكبر .

وبعض العلماء من يسمي النوع الثاني الذي يختلف فيه ترتيب الحروف(القلب) ، ومراد هؤلاء قلب الحروف بجعل بعضها مكان بعض ، وربما بيّنوا غرضهم في التسمية ، فسمّوه (القلب المكاني) تحرزا عن القلب الإعلالي الذي هو قلب حروف من أحرف العلة ، حرفا آخر ، منها : كقلب الياء والواو ألفا ، لتحرك كل منهما وانفتاح ما قبله في نحو : باع ، وقال ، وصام ، من البيع والقول والصوم .

ومن العلماء من يسمي النوع الثالث من هذه الأنواع " الإبدال " وربما قيل " الإبدال اللغوي " تحرزا عن الإبدال الشائع المطرد الذي يجري على السنن العربي المشهور [٧].

ويقول الرازي : " الإشتقاق أصغر وأكبر ، فالأصغر ، كإشتقاق صيغ الماضي والمضارع والفاعل والمفعول وغير ذلك ، من المصدر ، والأكبر هو تقلب اللفظ المركب من الحروف إلى انقلاباته المحتملة ، مثلا : اللفظ من ثلاثة أحرف يقبل ستة انقلابات ، لأنه يمكن جعل كل واحد من الحروف الثلاثة هذا اللفظ ، وعلى كل من هذه الإحتملات الثلاثة يمكن وقوع الحرفين ، والمراد من الإشتقاق الواقع في قولهم : هذا اللفظ مشتق من ذلك اللفظ هو الإشتقاق الأصغرغالبا .[٨]

---

[٧] أنظر دروس في التصريف / ١٣ .

[٨] كتاب الإشتقاق / ٢ .

نظرية الإشتقاق الأكبر عند ابن جني :

يجعل ابن جني في مصنفه" الخصائص "[٩] الإشتقاق ضربين : صغير أو أصغر وكبير أو أكبر ، ويسمّي كلا منهما تسميتين ، ويعنى بالطائفة الأولى ، ذلك الإشتقاق الذي تحدثنا عنه وينحصر في مادة واحدة ، تحتفظ بترتيب حروفها ، كتركيب(سلم) ، فإنك تأخذ منه معنى (السلامة) في تصرفه نحو : سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم ، وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته وبقية الأصول غيره ، كتركيب (ض ر ب) و (ج ل س) و(ز ب ل) على ما في أيدي الناس من ذلك ، فهذا هو الإشتقاق الأصغر .

ويعني ابن جني بالطائفة الثانية " أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا ، تجتمع فيه التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الإشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد "[١٠].

ويضرب مثلا لذلك بأصول (ك ل م) وتقالبها : (ك م ل) و (م ك ل) و (م ل ك) و (ل ك م) و (ل م ك) فهذه الصور الست تدلّ على معنى واحد مشترك ، هو القوة والشدّة مهما اختلف مظهر التفسير الذي يقوم به جماعة اللغويين [١١].

---

[٩] الخصائص ٢/ ١٣٣وما بعدها .

[١٠] الإشتقاق لأبي بكرمحمد بن الحسنبن دريد/ ٢٦ .

[١١] الخصائص ١ /٥٢٥ .

وذكر صاحب كشف الظنون[١٢] نقلا عن الرازي : إن اجراء الإشتقاق الأكبر في الأصول الرباعية يقبل أربعة وعشرين انقلابا ، وعلى هذا القياس المركب من الحروف الخمسة .

والسيوطي في المزهر يبسط مثالا للإشتقاق الأكبر نقلا عما ذكره الزجاج في كتابه قال : " قولهم شجرت فلانا بالرمح ، تأويله ، جعلته فيه كالغصن في الشجرة ، وقولهم للحلقوم وما يتصل به شجر ، لأنه مع ما يتصل به كأغصان الشجرة ، وتشاجر القوم ، إنما تأويله اختلفوا كأختلاف أغصان الشجرة ، وكل ما تفرّع من هذا الباب ، فأصله الشجرة .

فقد اخطأ السيوطي بهذا المثال تسمية" ابن جني " في الإشتقاق الأكبر التي سبق التمثل بها ، والتي ذكر ، إنه الذي ابتدع لها هذه التسمية ، إذ يقول " وإنما هذا التقلب لنا نحن " – وفي نظرنا – أن هذا الضرب من الإشتقاق الذي ساقه السيوطي مثله ، بأن تنشأ له تسمية خاصة هي الإشتقاق الكبير .

وقد فطن " الخليل بن احمد الفراهيدي " (ت ١٧٥هـ) إلى هذه الروابط المعنوية في الإشتقاق الكبير ، كما فطن إليها قبل ابن جني شيخه" أبو علي الفارسي " (ت٣٧٧هـ) إلا أن الذي توسع فيها وفي ضرب الأمثلة لها ، هو ابن جني نفسه ، وإن كان لم يزعم اطرّاد هذا النوع من الإشتقاق في جميع مواد اللغة ، بل قال : " واعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة ، كما لا ندعي الإشتقاق الأصغر أنه في جميع

---

[١٢] كشف الظنون ١/ ١٠٨ .

اللغة ، بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه ، متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهبا ، وأعز ملتمسا " .[١٣]

وإذا كان " ابن جني " قد أولع بهذا النوع من الإشتقاق وسماه بالإشتقاق الأكبر ، وعقد له فصلا خاصا[١٤] ذكر فيه عددا من الأمثلة الموضحة ، فقد تكلف بعضهم فيه وفي غيره تكلفا لايطاق ، فخرجوا عن مدلول اللفظ الأصلي وتعسفوا في التعليل والتفسير ، فقال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتابه "الموازنة " كان الزجاج يزعم أنّ كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى ، فيقول : " الرّحل مشتق من الرحيل ، والثور إنما سمّي ثورا ، لأنه يثير الأرض ، والثوب إنما سمّي ثوبا ، لأنه ثاب ، أي (رجع) لباسا ، بعد أن كان غزلا ، حسيبه اللّه[١٥] وأمثال هذه المبالغات التي يظهر عليها التكلف حملت السيوطي على أن يقول عن هذا الإشتقاق الكبير : " إنه ليس معتمدا في اللغة ، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب " [١٦] بل نجد ابن جني نفسه لايسلم رغم اعتداله وترفقه من نقد السيوطي له في هذا الموضوع ، إذ يتهمه بأن توسع في هذا الإشتقاق " بيانا لقوة ساعده وردّه المختلفات إلى قدر مشترك مع اعترافه

---

[١٣] الخصائص ٢ /١٣٣ ومابعدها .

[١٤] المصدرنفسه ١ / .

[١٥] انظر المزهر ١ / ٣٥٤ .

[١٦] المزهر ١ / ٣٤٧ .

وعلمه ، بأنه ليس موضوع تلك الصيغ ، وأن تراكيبها تفيد أجناسا من المعاني مغايرة للقدر المشترك .[١٧]

ويفضل السيوطي في هذا الباب رأي معتدل سديد فيقول : " وسبب إهمال العرب له وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه ، أن الحروف قليلة ، وأنواع المعاني المتافهمة لاتكاد تتناهى ، فخصّوا كل تركيب بنوع منها ، ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعا كثيرة ، ولو اقتصروا على تغاير الموادّ ، حتى لايدلوا على معنى الإكرام والتعظيم ، إلا بما ليس فيه شيء من حروف الإيلام والضرب لمنافاتهما لهما – لضاق الأمر جدا ، ولا احتاجوا إلى ألوف حروف لايجدونها " إلى أن يقول : " ففي اعتبار المادة دون هيئة التركيب من فساد اللغة مابنيت ، ولاينكر مع ذلك أن بين التراكيب المتحدة المادة ، معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها ، ولكن التحيّل على ذلك في جميع مواد التركيبات ، كطلب لعنقاء مغرب " [١٨].

ومن الأصول التي أوردها على تقليباتها ، وذكر المعنى الجامع لها ، مما يزيد نظريته ايضاحا (ق و ل) و (ك ل م) وهذا شيء من كلامه في ذلك ؛ " هذا باب القول على الفصل بين الكلام والقول ، ولنقدم أمام القول على فرق بينهما طرفا من ذكر أحوال تصاريفهما واشتقاقهما ، مع تقلب حروفهما ، فأن هذا موضع يتجاوز قدر الإشتقاق ، ويعلوه إلى ما فوقه ، وسنراه طريقا عربيا ، ومسلكا من هذه اللغة الشريفة عجيبا ،

---

[١٧] دراسات في فقه اللغة / ٢٠٧ .

[١٨] المزهر ١ / ٣٤٧ .

فنقول : " إن معنى (ق و ل) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض وحروفها على بعض وتأخره عنه ، إنما هو للخفوف والحركة ، وجهات تراكيبها الست مستعملة ، لم يهمل منها وهي : (ق و ل) و (ق ل و) و (و ق ل) و (و ل ق) و (ل ق و) و (ل و ق) ففي أولها (ق و ل) هو من القول ، وأن اللسان والفم يخفان له ، والأصل الثاني (ق ل و) منه القلو : حمار الوحش ، وذلك لخفته وسرعته ، والثالث (و ق ل) منه الوقل للوعل ، وذلك لحركته ، وقالوا : توقل في الجبل ، إذا صعد فيه ، والرابع (و ل ق) قالوا (ولق – يلق) إذا اسرع ، وقريء إذ تلقونه بألسنتكم ، أي تخفون وتسرعون والخامس (ل و ق) جاء في الحديث : " لاأكل من الطعام إلا ما لوق لي " ، أي ما خدم ، واعملت اليد وتحريكه ، والسادس (ل ق و) منه القوة للعقاب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها [١٩] .

ومن " الجمهرة "[٢٠] نلخص أهم ما جاء في مادة (ب ج ر) وتقاليبها ومقارنة بما ورد في " الخصائص " حول تقليب (ج ب ر) ، نجد أنه ليس من الصعب أن نرى ابن جني أوضح الرابط المشترك بين التقاليب المستعملة لهذه المادة ، بينما اكتفى ابن دريد بعرض تلك التقاليب ، وأهمل المعنى الذي اشتركت فيه .

وقد رتب" ابن دريد " تقاليب هذه المادة على هذا النحو : (ج ب ر) (ب ر ج) (ر ج ب) (ج ر ب) (ب ج ر) (ر ب ج) .

---

[١٩] ابن جني عالم العربية / ٨٥ ، ٨٦ .

[٢٠] الجمهرة ١ / ٢٠٧ .

ومن الشواهد التي أوردها على كل تقليب يتضح أنّ المادة مستعملة كيفما تقلبت وجوهها ، وأنه ليس فيها مهمل ، إلا أن شواهد بعض التقاليب أغنى من شواهد بعضها الآخر ، كما أن ما تصرفه العرب باستعماله منها ، اسما أو فعلا أو مصدرا أو صفة ، تتفاوت بين تقليب وآخر ، فليست التقاليب كلها متساوية في الإستعمال ، ولا في كثرة الإشتقاق والتصريف منها ٠

وللمطلع أن يتساءل : مابال " ابن دريد " يسمي مادته هذه (ب ج ر) ، مع أنه أدرجها بين التقاليب ، الخامسة في الترتيب ، وبدأ بتقليب (ج ب ر) ٠

أما تسميته المادة (ب ج ر) ، فلما أخذ به نفسه من ترتيب مواد جمهرته حسب الترتيب الهجائي لحروف اصولها مع مراعاة أوائل هذه الاصول ، ولاريب في أن (ب ج ر) تقدم حينئذ على (ج ب ر) كما تقدم على بقية التقاليب ، فإنها جميعا مادة ثلاثية واحدة ، أولها الباء وآخرها الراء ، وأوسطها الجيم ٠

وأما ابتداؤه بتقليب (ج ب ر) فربما كان السر فيه ما غلب على ظنه ، من أن العرب أكثرت من استعماله ، وتصرفت في معانيه ، ووفرت الشواهد عليه ، وإلا فهو أمر هكذا وقع لإبن دريد ، ومن العبث التساؤل عن تقديم ما قدم ، وتأخير ما أخر[٢١] ٠

---

[٢١] دراسات في فقه اللغة / ٢٠٩ -٢١١ .

أ. أهم ما ورد في تقليب (ج ب ر) جبور العظم ، والجبارة : الخشب الذي يشدّ على العضو المكسور ، وأجبرت الرجل على كذا ، فهو مجبر ، والجبر الملك [٢٢] ، والجبّار: للنخل الذي فات اليد .

ب. وفي تقليب (ب ر ج) يذكر ابن دريد (البرج) من بروج الحسن أو القصر ، ويرى أنه عربي معروف ، أما البرج من بروج اسماء ، فلم تعرفه العرب ، إنما كانت تعرف منازل القمر[٢٣] ثم يذكر (البرج) وهو نقاء بياض العين ، وصفاء سوادها ، ويربط بين برج المرأة وبرج العين ، إذ يقول : وتبّرجت المرأة ، إذا اظهرت محاسنها ، وكأن به يقول بعبارة اصرح : إذا اظهرت برج عينيها وجمالها زهوا واختيالا [٢٤].

ج. وفي تقليب (ر ج ب) يتحدث عن رجب الرجل : " إكرامه وتعظيمه ، ويرى أن شهر رجب، سمي بهذا الاسم لتعظيم إياه .
ويذكر أن ما تسند به النخلة إذا مالت وكرمت على أهلها يسمى (الرحبة) وأن النخلة توصف حينئذ بأنها (مرحّبة) وأن أحد فصوص الاصابع يسمى (الراجبة) والجمع (رواجب) .

د. أما تقليب (ج رب) فذكر منه (الجرب) وهو الداء المعروف ، والجربة : القراح ، والجرباء : السماء ، والجربّة : العانة من الحمير ،

---

[٢٢] ومن الغريب أن ابن دريد فاته أن يعرض هنا لاسم الله الجبار .

[٢٣] ألا يكون في هذا اعتراض ضمني بأن القرآن هو الذي عرّب البرج ، الذي هو من بروج السماء عندما نزل بمثل هذه الآية {والسماء ذات البروج } .

[٢٤] مقارنة بالمقاييس ١ / ٢٣٩ .

وكذلك الجربّة : للأقوياء من الناس إذا إجتمعوا ، والتجارب ، والرجل المجرّب ، والجريباء : ريح الشمال ، وجربة السيف : قرابة [٢٥].

هـ. وتقليب (ب ج ر) الذي سمي به المادة ، فلا نجد فيه إلا البجرة ، أو البجرة أو الجبرة ، وهي السرة الناتئة ، وقولهم هذا أمر بجريّ ، أي عظيم ، والجمع البجاري ، وهي الدواهي العظام .

و. وفي تقليب (ر ب ج) لم يذكر إلا الرجل الرّباجي ، إذا كان يفخر بأكثر من فعله ، ويستشهد بقول الشاعر :

وتلقاه رباجيا فجورا

فإذا أنعمنا النظر في رأي ابن جني في تقاليب هذه المفردة ، وجدناه قد نفذ خلالها بفكره الثاقب ، ونظره البعيد ، وأيقنا من شروحه لمفرداتها ، أنه حفظها من " الجمهرة " في لوح قلبه ، أو من كتاب آخر نقل منه صاحب الجمهرة ، حفظه ابن جني وضيعناه ، ولا يبعد أن يكون معجم (العين) نفسه أو واحدا من تلك المعاجم القديمة الأول [٢٦].

وقبل أن نعترف لابن جني بحدة الذكاء وخصب الخيال ، لدى استنتاجه الرابط المشترك بين تقاليب هذه المادة ، نرى- لزاما علينا أن نعترف له بمقدرة الساحر الذي يظهر لك شيئا ، في حين أنه يخفي اشياء ، ولكن براعته وخفة يده تبهران بصرك ، فلا أنت تتبعه فيما أظهره ، ولاأنت تلاحقه فيما أخفاه [٢٧].

---

[٢٥] إلا أنه ينقل عن أبي حاتم أن هذا اللفظ معّرب ، فهو بالفارسية (كريبان) .

[٢٦] انظر دراسات في فقه اللغة / ٢١١ ،٢١٢ .

[٢٧] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢١٣ .

لقد جمع ابن جني تقاليب هذه المادة ، وما علم أنه متصرف منها ، فأهمل بلطف ورشاقة مالم ينسجم مع المعنى العام الذي استنبطه ، وسد الثغرات فيما كان عليه شيء من الغموض ، واسهب العبارة واطال النفس فيما بدا له متناسقا مع المعنى الذي غاص فيه ، ، وإذا هو يرى أن تقاليب (ج ب ر) إن وقعت ، فهي القوة والشدة [٢٨].

أ٠ منها (جبرت) العظم والفقر : إذا قويتها وشددت منها ، والجبر الملك ، لقوته وتقويته لغيره ٠

ب٠ ومنها (رجل مجرب) إذا جربته الأمور ونجدته ، فقويت متنه واشتدت شكيمته ، ومنه (الجراب) لأنه يحفظ ما فيه ، وإذا حفظ الشيء وروعي ، اشتد وقوي ، وإذا أغفل وأهمل تساقط وردي ٠

ج٠ ومنها (الأبجر والبجرة) وهو القوي السرة ، ومنه قول علي (رضي اللّه عنه) : " إلى اللّه اشكوا عجري وبجري " تأويله : همومي وأحزاني [٢٩].

د٠ ومنه (البرج) لقوته في نفسه وقوة ما يليه به ، وكذلك (البرج) لنقاء بياض العين ، وصفاء سوادها [٣٠]وهو قوة أمرها ، وأنه ليس بلون مستضعف ٠

هـ٠ ومنها (رجب الرجل) إذا عظّمته وقويت أمره ، ومنه (رجب) لتعظيم إياه عن القتال فيه ، وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت ،

---

[٢٨] الخصائص ٢ / ١٣٥ .

[٢٩] وهومايفرق كما يفرق ابن دريد بين العجرة والبجرة .

[٣٠] قارن بمعنى (البرج) في الجمهرة .

دعموها بـــ (الرّجبة) وهو شيء تسند إليه لتقوى به [٣١] ، والراجبة أحد فصوص الاصابع ، وهي مقوية ، ومنها (الرباجيّ) وهو الرجل الذي يفخر بأكثر من فعله ، قال : وتلقاه رباجيا فخورا " ، وتأويلـــه : أنه يعظـــم نفـــسه ، ويقـــوي أمـــره ، ويـــاتي بأمثلـــة عديـــدة فـــي مصنفه " الخصائص " .

ويعترف ابن جني أن هذا النوع ليس من اختراعه ، أو اكتـــشافه ، فهو أخذ طريقته عن استاذه " أبي علي الفارسي " وليس لابـــن جنـــي إلا اطلاق التسمية عليه[٣٢] فهو يقول : " هذا موضع لـــم يـــسمه أحـــد مـــن اصحابنا ، غير أن أبا علي – رحمه اللّه – كان يستعين به ويخلد إليه ، مع أعواز الإشتقاق الاصغر ، ولكنه مع هذا لـــم يـــسّمه ، وإنمـــا كـــان يعتاده عند الضرورة ، ويستروح إليه ويتعلل به ، وإنمـــا هـــذا التقليـــب لنا نحن " [٣٣].

إذا لم ينسب لنفسه اختراع هذا النوع من الإشـــتقاق ، انمـــا فـــضل تسميته ، ولكنه قد أغرم به وتبناه حتى اصبح يقرن باسمه ، وعدّه بعـــض الباحثين من ابتداعه ، كالسيوطي الذي قال : " وأما الأكبر فـــيحفظ فيهـــا المادة دون الهيئة ... وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني ، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيرا وليس معتمدا في اللغة " [٣٤].

---

[٣١] قارن هذه العبارة بما ذكره ابن دريد آنفا عن (الرجبة) .

[٣٢] الدلالة اللغوية عند العرب / ٢٥٨ .

[٣٣] الخصائص ٢/ ١٣٣ .

[٣٤] المزهر ١/ ٣٤٧ .

وقد نسب" آدم متز " ابتداع هذا الإشتقاق لابن جني أيضا مؤيدا السيوطي بهذا الرأي في قوله : " وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للإشتقاق اللغوي ، وبقيت عصرا طويلا ، وكان استاذ هذه المدرسة ابن جني الموصلي ، وهو الذي ينسب إليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة ، وهو المسمى الإشتقاق الأكبر ، وهو البحث الذي لايزال يؤتى ثماره إلى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا " [٣٥].

وتحمس لنظرية " ابن جني " كثير من العلماء ، وقاموا بعملية استقراء واسعة في محاولة لجمع أكبر عدد ممكن من الأدلة والبراهين على صحتها ، وعلى الرغم من ذلك مازال فيها جوانب ضعف كثيرة ، كما رأها الدكتور محمد الأنطاكي بقوله :" فهي في أغلب الأحيان تطالبنا بالتسليم بأن العرب الأولين ادركوا بالنباهة وحدها ما لم يدركه غيرهم بالروية واعمال الفكر: استمع معي إلى هذا الفيلسوف ، وهو يرد كلمة (الجراب) إلى معنى القوة قائلا : " وإنما سمي الجراب جرابا ، لأنه يحفظ ما فيه ، والشيء إذا حفظ كان أقوى ، والمطلوب منك الآن أن تصدق ابن جني في أن العرب لحظت هذه السلسلة من المعاني قبل أن تسمي الجراب جرابا ، وعلى كل حال ، فأن ما جاء به ابن جني لا يزال في مجال النظريات التي تحتمل الكثير من الأخذ والرد ، ولم يخرج بعد إلى مجال الحقائق العلمية التي لا يختلف فيها اثنان " [٣٦].

---

[٣٥] الحضارة الأسلامية في القرن الرابع ١٠ / ٤٣٧ ط٤ دار الكتاب العربي -بيروت ١٩٦٧م .

[٣٦] أنظر الوجيز في فقه اللغة / ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

– وفي نظرنا – أن التباين الذي يحدث هو في المبدأ الذي يميـزون به بين الحقائق ، وفي تعريف محدد لها ، وذلك لمرونـة اللغـة العربيـة وقدرتها الفائقة على التوليد والإشتقاق ، لذلك لاخلاف بين المحدثين في أن الإشتقاق وسيلة مهمة من وسائل نمو اللغة العربية وتطورهـا ومواكبتهـا للحضارة والحياة المتجددة .

فالدكتور عبد الواحد وافي يذكر مثالا من الإشتقاق العام هـو : علـم ، نعلم ، اعلم ، اعلمي ، علّم .... الخ بعد أن عرّفه بأنه الأرتباط فـي كـل اصل ثلاثي في اللغة العربية ، بمعنى عام وضع له ، فيحقق هـذا المعنـى العام بـ (العلم) مثلا ، هو إدراك الشيء وظهره ووضوحه في كل كلمـة توجد فيها الاصوات الثلاثة ، مرتبة حسب ترتيبها في الاصل الـذي أخـذت منه ، وهو (ع ل م) ، ثم قال : " وعلى هذه الرابطة يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية "[٣٧] ويسمّى الإشتقاق الأكبر ، الإشتقاق الكبير ويعرّفـه بأنـه ارتباط مجموعات ثلاثية من الاصوات ببعض المعاني إرتباطا مطلقا غيـر مقيد بترتيب ، فيدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب اصواتها ، وضرب مثلا :

(ج ب ر) و(ق س و) و (ن ج د) وبين أن (ج ب ر) تدل على القوة والشّدة كيفما اختلف ترتيب اصواتها في الكلمة [٣٨].

وهو في هذا يستمد من ابن جني [٣٩] وهناك أيضا ما سمّاه " الإشقاق الأكبر " وهو كما عرّفه – ارتباط بعض المجموعات ثلاثية من الاصوات

---

[٣٧] أنظر المصدر نفسه / ١٧٢ .

[٣٨] أنظر نفسه / ١٧٤ -١٧٥ .

[٣٩] الخصائص ٢/ ١٣٥ -١٣٦ .

ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الاصوات ، بل بنوعها العام وبترتيبها فحسب ، سواء بقيت تلك الاصوات على حالها أم استبدل بها اصوات آخرى متفقه معها في النوع ، أي أن تنسق الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ماعدا الإطباق .

فمن أمثلة التقارب لديه في المخرج تناوب الميم والنون في مثل قول العرب : متقع لونه ، وانتقع ، واللام والنون في مثل : حالك وحانك ... ومن مثل الاتفاق في الصفات ما عدا الاطباق، تناوب الصاد والسين في مثل قولهم : ساطع وصاطع والصراط والسراط[٤٠] فهذا عنده من الإشتقاق الأكبر ، وبذلك نرى أنه جعل الإشتقاق ثلاثة أنواع : عام وكبير وأكبر .

أما المستشرق " برجستراسر " فقد خص الاشتقاق في العربية بحديث واف في كتابه (التطور النحوي) وبين كثيرا من خصائص العربية وطرائقها في الاشتقاق مشيرا إلى هذه السمة السامقة لها (الاشتقاق) موضحا أهميتها وظهورها فيها أكثر مما في اللغات الآخرى التي تشاركها في التقسيم الاسري للغات ، وهي لغات الجزيرة القديمة التي يسمونها السامية ، وسميناها الجزيرة ، فيقول : وأكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان قديم جدا ، إلا على القليل من الأوزان ، كالمصادر والأنساب ، فاصبحت جملة اسمائها محدودة ، لايزال عليها إلا القليل في المدة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت أو قريب من الميت واللغة العربية دامت تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على الأوزان

---

(٤٠) أنظر فقه اللغة / ١٧٤ - ١٧٥ .

المتنوعة ، وكل شاعر من الشعراء المتقدمين كان يجوز لـه أن يرتجـل الاسماء الجديدة على الأوزان المعروفة ... [٤١]

وإن امعان النظر في ما اظهره ابن جني من براعة في صنيعه في هذه التقاليب ، والرابط المشترك بينهما ، لا يخطيء التكلف البعيد الـذي وقع فيه ، كما يراه الدكتور صبحي الصالح ، وهو يتلمس الطريـق نحـو الرابط السحري العجيب الذي يردّ هذه التقاليب جميعا إلى اصل واحـد ، ولكن هذا الرابط الذي اهتدى إليه صاحب الخصائص ليس عاما فحسب ، بل هو شديد العموم ، وبلغت عمومه حدّ الإبهام والغموض .

ويتساءل الصالح ؛ هل ترى أعجب من أن تفسر هذه التقاليب كلهـا ، وجميع الصور المتفرعة عنها ، وعلى الرغم مما لكل منها من مفهوم دقيق وإيحاء خاص بهاتين الكلمتين العامتين الموغلتين فـي العمـوم : القـوة والشدة ؟ وهما كلمتان مبتذلتان من كثرة الاستعمال ، تترادفان وتتعاقبـان حين لا يجد المتكلم سبيلا لتحديد المعنى وتفصيله ، فلا تتمان إلا عن مقابلة حال بحال ، فحال القوة ، تقابل حال الضعف ، وحال الشدة ، تقابل حـال الوهن ، ولا ضير أن يكون مبلغ القوة والشدة في برج العيون !![٤٢]

لو قارنا ما توصل إليه " ابن جني " في هذه التقاليب بمـا وصـل إليه " ابن فارس " المعاصر له الذي لا يؤمن بهذا الإشتقاق الكبير ، لرأينا على حد قول الدكتور صبحي الصالح : " أكثر اعتدالا وأهدى سبيلا ، فما لا ريب عندنا في أنه اطلع على ما جاء في(الجمهرة) ، إن لم نقل إنـه

---

[٤١] براجستراسر / التطور النحوي / ١٠١ .

[٤٢] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢١٥ .

حفظ جله في لوح قلبه ، ولكنه حين ذكر في المقاييس صورة هذه التقاليب في المواضع المناسبة لها ، تبعا لمنهجه في معجمه ، لم يفسرها جميعا بالقوة والشدة جملة واحدة ، بل ردّ بعضها إلى اصل ، وبعضها إلى اصلين ، وتخرج مقتنعا إذا تلبث في قراءة الاصول التي أوردها ، أن لا جامع يربط بين بعضها وبعض ، وأن هذا الجامع ، إن أدركه النظر الثاقب ضعيف ، أوهن من خيط العنكبوت [٤٣].

أ. ففي تقليب (ج ب ر) يرى أنه اصل واحد ، وهو جنس العظمة والعلو والاستقامة ، ويفسر به (الحبار) الذي طال وفات اليد ، ومنه الفرس (الجّبار) ، والنخلة (الجّبارة) وذو الجبّورة ، وذو الجبروت : اللّه جلّ ثناؤه ، فإذا عرض الجبور لعظم ، وللجبارة التي يضم بها العظم الكسير ، كاد يفهمك أنه يقصد من هذا الاصل معنى الاستقامة ، والعظمة والعلو ، ونتساءل هل هذا الاصل من العظمة والعلو والاستقامة ، يرادف الاصل الذي أورده ابن جني في القوة والشدة ! لا يمكن أن يكون- في نظرنا -أن الشيء العظيم العالي أو المستقيم إلا قوي وشديد ، ولكن الذي ميزه عن ابن جني ولم يفته ، ذكر الجبروت : اللّه جلّ وعلا .

ب. ووجد" ابن فارس" في مادة (ب ر ج) اصلين هما : البروز والظهور ، والوزر والملجأ ، فردّ أحدهما إلى برج العيون الجميلة ، وتبرج المرأة الحسناء التي تحرص على اظهار محاسنها ، والآخر إلى

---

[٤٣] دراسات في فقه اللغة / ٢١٥ ، ٢١٦ .

بروج السماء والحصون والعصور ، ورأى أنهم يسمون الثوب الذي صوروا عليه رسم البروج (ثوبا مبّرجا) [٤٤].

فإن يك بين الوزر والملجأ ، وبين القوة والشدة علاقة ، فأي علاقة بين القوة والشدة وبين البروز والظهور ؟ ألم يبرأ ابن فارس من التكلف والتصنع حين ردّ برج العيون إلى البروز والظهور ؟ أو لم يتكلف ابن جني تكلفا لا يطاق حين أبى أن يرى في برج العيون إلاّ قوة أمرها ، وأنه ليس بلون مستضعف ؟ [٤٥]

ج٠ وفي مادة (ر ج ب) تجد ابن فارس يتفق مع ابن جني في ملاحظة معنى القوة ، وإن كان ادق تعبيرا ، فيرى أن (الراء والجيم والباء) اصل يدل على دعم شيء بشيء وتقويته [٤٦].

ومن الواضح أنه يقصد معنى القوة في احد معانيها الدقيقة ، وهو الدعم ، ونبّه عليه في اصل المادة (الحسن) ، كما نبّه عليه فيما تطور عنه من معان بطريق الكفاية والمجاز ٠

فالاصل في الباب كله ترجيب الشجرة إذا دعمت (بالرجبة) لئلا تنكسر أغصانها حين يكثر حملها[٤٧] أما قولك (رجّبت الشيء) أي عظمته ، فكأنك جعلته عمدة تعمده لأمرك ، ومن الباب (رجب) لأنهم كانوا يعظمونه ٠

---

[٤٤] المقاييس ١/ ٢٣٩ .

[٤٥] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢١٧ .

[٤٦] أنظر المقاييس ٢ / ٤٩٥ .

[٤٧] المصدرنفسه ١ / ٤٤٩ -٤٥٠ .

د٠ وكذلك في مادة (ج ر ب) يسلك ابن فارس مسلكا عجيبا ، فلا يذكر ما أورده ابن جني ، ولا ابن دريد من وصف الرجل (بالمجرب) إذا جربته الأمور ونجدته ، ولا يعرض لتجارب الدهر واثرها في الإنسان، بل يردّد (الجيم والراء والباء) بين اصلين : أولهما الشيء البسيط يعلوه كالنبات من جنسه والآخر شيء يحوي شيئا[٤٨] وكم تكلف ابن فارس حتى وجد لهذه المادة اصلها ، ظنا منه أن لاشيء كهذا الاصل يطوي مفهوم (الجرب) الداء المعروف ، فلا بد من أن ينبت على الشيء نبات بسيط من جنسه أو شيء يشبه هذا النبات حتى يتم تصور الجرب ، مع أنّ فكرة النبات ليست من الوضوح في معرض الحديث ، بحيث تؤدي فكرة الحكّ والتحكّك مثلا في الجرب من الإبل والناس ٠ واننا- نجد ابن فارس كمن يقنع نفسه بصلاحية هذا اصل والإيحاء بمفهوم (الجرب) حين ينتقل من وصف الناقة بالجرباء إلى وصف السماء بالجرباء ، ويقول : " ومما يحمل على هذا تشبيها تسميتهم السماء (جرباء) شبهت كواكبها بجرب الأجرب ، ويستشهد بقول اسامة بن الحارث:

أرته من الجرباء في كل منظر طبابا فمثواه النهار المراكد [٤٩]

ولم يزد ابن جني إلا أن تكلف فاسرف ، فما عسى أن يقول في الجرب ؟ وأي علاقة له بالقوة والشدة ؟ وهل كان لاحد أن يستنبط من ضعف الداء ، ومن وهن المرض شدة ؟

---

[٤٨] نفسه ١ / ٤٤٩ – ٤٥٠ .

[٤٩] المقاييس ١ / ٤٤٩ –٤٥٠ .

أما في الاصل لمادة (ج ر ب) وهو الشيء الذي يحوي شيئا ، فقد أورد ابن فارس (الجراب) المعروف بالجوف من الأعلى إلى الاسفل ، وربط هذا بجوف البئر من أعلاها إلى اسفلها ، وشبه جوف البئر بالجراب الذي يحوي ماءها وغيره .

ونقل معنى الإحتواء بلطف الصنعة إلى معنى التجمع ، فرأى العانة من الحمير إذا تجمعت سميت (جربّة) ، ورأى الأقوياء من الناس إذا تجمعوا سمّوا (جربّة) أيضا واستشهد بقول الشاعر :

ليس بنا فقر إلى التشكي جربّة كحمر الأبك

ولكن ابن جني فاته أن يوميء إليه مع أنه أدى إلى تحقيق معنى القوة والشدة من كثير من الأمثلة الأخرى التي أوردها ، ولعله أدرك أن (الجربّة) ليسوا أقوياء الناس في كل حال ، بل في حال التجمع ، فلم يشأ تأويل اللفظ على غير وجهه ، أو حمله على غير محمله [٥٠].

وحينما نقرأ المقاييس ، نجد أن الباء والجيم والراء في (ب ج ر) اصل واحد ، وهو تعقد الشيء وتجمعه [٥١] .

ويذكر الدكتور صبحي الصالح أن ابن فارس كمن وقع على المعنى الاصوب والمفهوم الأدق للرجل الأبجر ، فما هو بالقوي السرة ، كما أبى ابن جني إلا أن يزعم ، بل الذي تخرج سرته وتتجمع عند العروق ، واصل هذه كله (البجرة) وهي السرة الناتئة ، فأين نجد معنى القوة والشدة في مثل هذا ؟ ويبدو أن مفهوم التكلف واضح عند ابن فارس

---

[٥٠] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢٢٠ .

[٥١] المقاييس ١ / ١٩٨ .

حتى في وصف الدواهي ، و(البجاري) ، إذ يعلل وصفها بأنها : " أمور معقدة مشتبهة " .

هـ. اما في التقليب الأخير (ر ب ج) فقد ذكر ابن فارس كلمة (التربّج) بمعنى التخير فقط ، وأبدى شيئا من الأرتياب في صحتها [٥٢] ولكنه مع ذلك نسب إلى الخليل نفسه تفسيرها بالتحير[٥٣] ثم انّ (الرباجة) بمعنى الفدامة قريبة من ذلك .

وعلى الرغم من أن ابن دريد يقتفي اثر الخليل ، وينقل عنه كثيرا من أقواله ، فانه لم يورد في (الجمهرة) شيئا عن الرباجة ، فلعله لاحظ معناها في (الرباجي) ، فهو قدم أحمق ، لأنه لا يعوّل على ما فعل ، بل يفخر بأكثر من فعله .

وقد شاهد ابن جني غير مرة شيخه أبا علي الفارسي[٥٤] يقلب الاصول لمعرفة بعض المواد ، فيّعينه هذا التقليب ويأخذ بيده ، ويفتح عليه من افاق البحث ما لم يحتسب : " ألا ترى أنّ أبا علي رحمه اللّه كان يقوي كون لام (أثفيه) فيمن جعلها (أفعولة) واوا بقولهم : أجاء يثفه ؟ ويقول : من الواو لا محالة ، كيعده ، فترجح بذلك الواو على الياء التي ساوقتها في يثفوه ويثفيه ، أفلا تراه كيف استعان على لام ثفا يفا وثف ؟

---

[٥٢] أنظر المقاييس ٢ / ٤٧٢ .

[٥٣] أنظر المخصص ١٢ / ١٢٨ .

[٥٤] الخصائص ٢ / ١٣٩ ، الوفيات ١ / ١٣١ ، انباء الرواة ١/ ٢٧٣ تاريخ بغداد ٢٧٥/٧ .

وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكّلت على صور مختلفة ، فكأنها لفظة واحدة " .

لذلك افتتح ابن جني " خصائصه " بتقليب حروف القول والكلام ، كأنما أراد أن يرسم للقاريء منهجه ، وهو بعد في أول الطريق ، وصرّح بأنه ، إنما رسم له من منهجه رسما ليحتذ به ، ويتقلبه فيحظى به ، ويكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله " [٥٥]

فإن هذا " أغرب مأخذا مما تقتضيه صناعة الإشتقاق ، لأن ذلك ، إنما يلتزم فيه شرح واحد من تتالي الحروف من غير تقليب لها ولا تحريف " [٥٦].

بيد أن ابن جني على استعانته بهذا الإشتقاق الكبير واسترفاده إياه ما كان لينخدع بما وراء تقليب الاصول فيه من نتائج واحكام ، وما كان ليعمم هذه النتائج والأحكام على جميع المواد والاصول ، فقد يتقارب اصلان في " التركيب بالتقديم والتأخيرمن غير أن يكون أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، كقولهم (جذب وجبذ) ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه وذلك أنهما ... يتصرفان تصرفا واحدا نحو : جذب ، يجذب ، جذبا فهو جاذب ، والمفعول مجذوب ، وجبذ ، يجبذ ، جبذا ، فهو جابذ ، والمفعول مجبوذ .. جعلت مع هذا ، أحدهما اصلا لصاحبه ، فسد ذلك ، لأنك لو ..لم يكن أحدهما اسعد بهذه الحال عن الآخر " [٥٧].

---

[٥٥] أنظر الخصائص ٢ / ١٣٩ .

[٥٦] الخصائص ١ / ١٢ .

[٥٧] المصدر نفسه ٢ / ١٣٥ .

وعدّ ابن جني أن كلا من (جبذ وجذب) لغة مستقلة من لغات العرب ، واصلا بنفسه ، ونفى أن يكون أحدهما اصلا لصاحبه ، ولو لم يكن مقتنعا بذلك ، لوجب عليه أن يعد أحدهما اصلا والآخر مقلوبا عنه ، ولكان له ولغيره أن يقلب أحد الاصلين على جهاته الستّ ، فيكون بين يديه في الحالتين هذه التقاليب : (ج ذ ب) (ج ب ذ) (ب ج ذ) (ب ذ ج) (ذ ج ب) (ذ ب ج) .

وابن جني لا يمنع تقليب أحد الاصلين (جذب أو جبذ) على جهاته الست التي رأيت ، ولكنه يشترط أن يعلم مقلب هذه الوجوه ، أنه يبغي تقاليب (جذب) دون سواها أو (جبذ) دون غيرها ، إذ لايفوته أن كلا منهما اصل مستقل قائم بذاته .

و ما استنتجه ابن منظور حين قال في(اللسان) :

" جبذ – جبذا ، لغة في جذب ، وفي الحديث " مجبذني رجل من خلفي " وظنه أبو عبيد مقلوبا عنه ، قال ابن سيده : " وليس ذلك بشيء " [٥٨] وقال ابن جني : " ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعا يتصرفا تصرفا واحدا .. [٥٩]

وأقل ما توحي به هذه التفرقة في الألفاظ المتقاربة بين الاصول وتقاليبها : الغلّو في الحيطة والحذر عند تقليب المادة على وجوهها الممكنة ، حتى لاتلتبس مادة بمادة ، ولايختلط اصل باصل ، ولا تعدو

---

[٥٨] دراسات في فقه اللغة / ٢٢٦ .

[٥٩] اللسان ٥ / ١٠ .

لهجة على لهجة ، ولا تتداخل لغات العرب في ألفاظ شاع بينها اختلاف عليها ، أو تباين في اسلوب أدائها أو طريق استعمالها [٦٠].

وفي هذه التفرقة بين الاصول وتقاليبها نجد أيضا شيئا من التضيق على المكثرين من الإشتقاق الكبير ، الطارئين عليه ، المتكلفين فيه ، المولعين بتقليب المواد على وجوهها المختلفة ، تلذذا بهذا التقليب [٦١].

وفي أمثالهم يقول ابن جني : " فاما أن يتكلف تقليب الاصل ووضع كل واحد من أحنائه موضع صاحبه ، فشيء يعرض له ، ولا تضمّن عهدته ، وقد قال ابو بكر[٦٢] : " من عرف أنس ، ومن جهل استوحش " وإذا قام الشاهد والدليل ، وضح المنهج والسبيل " [٦٣].

التناسب بين اللفظ ومدلوله :

وللولوع بالإشتقاق الكبير، ارتباط وثيق بمذهب المؤمنين بدلالة الحرف السحرية ، وقيمته التعبيرية الموّحية عند اولئك الذين مالوا إلى الإقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله في حالتي البساطة والتركيب ، حتى رأوا اثبات القيمة التعبيرية للصوت المركب كيفما كانت صورة تركيبه [٦٤].

---

[٦٠] من ذلك مثلا أن (حبذا) تميمية ، و(جذب) حجازية .

[٦١] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢٢٦ .

[٦٢] يقصد أبا بكر بن دريد ، وقد سبقت ترجمته .

[٦٣] الخصائص ١ / ١١.

[٦٤] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢٢٧ .

ولقد رأينا " ابن جني" في طليعة القائلين بهذه القيمة التعبيرية للحرف العربي ، ورأيناه يخلط أحرف مادة ما ، ويمزج بعضها ببعض ويقلبها في تركيب ثلاثي على جهاتها الست المحتملة ، ثم ينظر إلى الحرف الواحد من أحرفها حيثما كان موضعه منها ، على أنه صوت ما يزال بسيطا له دلالته التعبيرية الخاصة [٦٥].

ونجده في مصنفه " الخصائص " يجعل لهذا النوع من الإشتقاق وظيفة دلالية ، حيث يقول : قالوا تعفرت الرجل إذا صار عفريتا " وما أورده ابن جني في الخصائص تحت باب " تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمعاني " [٦٦] فهو يجرد من الألفاظ المختلفة في مبانيها ، معاني متقاربة تقاربا يجعلها مرتبطة بمعنى عام جامع لها تماما ، كحصره لمعنى كل تقليب من تقاليب المادة الواحدة ، وبحثه بعد ذلك عن المعنى العام الذي يجمع هذه التقاليب ، ولافرق بينهما سوى أن تقاليب الإشتقاق الأكبر متقاربة في المبنى ، فتتفق في المعنى الجامع ، بينما في باب تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني ، كما هو واضح أن المباني مختلفة ، ومع ذلك فالمعاني متفقة يربطها معنى عام واحد [٦٧].

- وفي نظرنا - أن الفرق بينهما شكلي ، لأنهما يؤديان إلى نتيجة واحدة ، ففي الإشتقاق ، الألفاظ تدلنا على المعنى الجامع ، أي عن طريق

---

[٦٥] أنظر المصدر نفسه / ٢٢٧ .

[٦٦] الخصائص ٢ / ١١٣ .

[٦٧] أنظر الدلالة اللغوية عند العرب / ٢٦٤ .

الألفاظ نصل إلى المعنى ،في حين أننا في هذا الباب نبدأ من المعنى ونصل إلى اللفظ المؤدي إليه .

وفي هذا الباب يقول ابن جني : " وكان أبو علي - رحمه اللّه - يستحسن هذا الوضع جدا ، وينبه عليه ويسر بما يحضره خاطره منه ، وهذا باب إنما يجمع الذي هو من لفظ واحد ، فكأن بعضه منبهة على بعض ، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعاني غير منبهته عليها الألفاظ ، فهو اشرف الصنعتين وأعلى المأخذين" .[٦٨]

ويضرب المثل على ذلك نحو [٦٩] ، كقولهم : " خلق الإنسان ، من خلقت الشيء ، إذا ملّسته ومعناه ما قدّر ورتب له ، والخليقة فعلية منه " .

وتؤكد الدراسة الحديثة أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة اعتباطية [٧٠] ، أو بعبارة أخرى ليست هناك علاقة طبيعية بين الكاف والتاء والباء في (كتب) مثلا ، ومفهوم الكتابة ، لأنه لو كانت هناك علاقة بين هذه الاصوات ومعناها ، لكانت عندنا لغة عالمية واحدة ، فلما تعددت اللغات ، دل هذا على انعدام العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومعناه ، ولم إلا القول بالعلاقة الإتفاقية أو الاصطلاحية .

هذا الذي يسري على لغات العالم كلها ، يسري على العربية أيضا إلا أن " ابن جني " يرى في هذه اللغة ما يميزها عن بقية لغات الدنيا ، وإذا كان ما ذكره قد انفرد به من بين علماء العربية ، ولم يأخذوا به في

---

[٦٨] الخصائص ٢ / ١٣٣ .

[٦٩] المصدرنفسه ٢ / ١١٣ - ١١٧ .

[٧٠] علم اللغة العام / ٨٧ ، وانظر الألسنية مبادئها واعلامها / ٨١ .

الإشتقاق ، لأنه ليس مطردا ، ولما فيه من التكلف كما عبرعن ذلك ابن عصفور[٧١] فأنه من غير شك يعرض ظاهرة لغوية تستدعي الوقوف عندها وتأملها في الأقل الاصول التي يظهر فيها المعنى الجامع بصورة غير متكلفة [٧٢].

وعقدت العرب صلة وثيقة بين صيغة اللفظ والمعنى الذي يؤديه حتى كادت معاني الصيغ تطّرد في العربية ، وكان من أوائل من نبه على هذه العلاقة سيبويه في " الكتاب " .

وحذا " ابن جني " ومن جاء بعد سيبويه حذوه ، فزادوا ووسعوا وأكثروا من الأمثلة والشواهد في هذا الباب .

ولاشك في أن عقد الصلة ومعانيها ، إنما هو نوع من عقد الصلة بين الصوت والمعنى ، على إننا لا نقول بالصلة الطبيعية ، إنما هي صلة وضعية ، ولكنها على أي حال تمثل علاقة قائمة في اللغة العربية بين الصوت والمعنى الذي يؤديه اللفظ [٧٣].

وقد جعل ابن جني ذلك من باب تقارب الحروف لتقارب المعاني ، ووصف هذا التقارب بأنه باب واسع ، وبحث فيه معاني الصيغ والتضعيف وترتيب الحروف بما يضاهي الأحداث ، وحكاية الاصوات ، والتفريق بين المعاني بحركة الحرف الذي في بنية الكلمة والمضارعة في الاصول .

---

[٧١] الممتع / ٤٠ .

[٧٢] أنظر ابن جني عالم العربية / ٧٩ .

[٧٣] أنظر ابن جني ، عالم العربية /٨٩ .

وذكر" سيبويه " عددا من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني [٧٤] منها : النزوان ، والنقزان ، والغفزان ، والغليان والغثيان ، واللمعان ، والجامع بينهما ما تجده فيها من اضطراب وتحرك ٠

وقال ابن جني مشيرا إلى مذهب سيبويه هذا : " فقابلوا بتوالي حركات المثال ، توالي حركات الأفعال [٧٥] فقد ناسب العرب بالصيغة وحركاتها واقع الفعل الذي يعبرون عنه ومافيه من حركة واضطراب ٠

هذه الاشارة من سيبويه جعلت ابن جني يلتفت إلى صيغة أخرى هي : صيغة (الفعلى) في المصادر والصفات ، حيث وجد أنها تأتي للسرعة ، كالبشكى والجمزى ، والولقى ، يقال ناقة بشكى ، أي سريعة خفيفة ، والجمزى : السير القريب من العدو ، أو الوثب والولقى : عدو فيه شدة ٠ وناقة ولقى : سريعة)٠

ومن ذلك ، أنهم جعلوا المصادر الرباعية المضعفة للمعنى المكرر ، كالزعزعة ، والقلقلة ، والجرجرة : " فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر " وقد جعلوا أيضا تكرير العين في الثلاثي دليلا على تكرير الفعل ، فالأصوات " تابعة للمعاني ، فمتى قويت ، قويت ، ومتى ضعفت ، ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم : قطع وقطّع ، وكسر وكسّر ، وزادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه"[٧٦]

---

[٧٤] أنظر الكتاب ٢ / ٢١٨ .

[٧٥] الخصائص ٢ / ١٥٢ .

[٧٦] المحتسب ٢ / ٢١٠ .

وإن كل تكلف ارتكبه اللغويون في باب الاشتقاق بقسميه السابقين : الأصغر والكبير ، لايعدّ شيئا إذا قيس بما اضطروا إلى ارتكابه لدى كل خطوة ، فيما سموه بالاشتقاق الأكبر [٧٧].

إنهم هنا لا يوجهون مادة تدل بترتيبها نفسه على معنى معين ، ولا مادة يخالفون في ترتيبها ، فيقلّبونها على وجوهها المحتملة ، وتظل مع ذلك هي بأحرفها وأصواتها ، فيعتقدون بأتحاد مدلولها أو تقاربه ، وإذ يواجهون أول الأمر مادة ، ويلاقون آخر الأمر مادة جديدة ، فيستبدلون الثانية بالأولى ، ويستعيضونها بأصوات الثانية عن أصوات الأولى ، لأن المخارج متقاربة ، أو الصفات متماثلة ، ولأن أخا الصوت كأنه الصوت نفسه ، فلا فرق بين الأصل والفرع ، ولا بين الصوت وصداه ، فلك أن تتصور مدى التكلف الذي يقع فيه الاشتقاقيون ، عندما يؤكدون في مثل هذا الاشتقاق الأكبر أنّ الصورة " البدلية " لابد أن تعوض الصورة " الأصلية " في مدلولها وإيحائها ، مثلما عوضتها في صوتها وصداها ، لأن المناسبة الطبيعية التي حملت الواضع على أن يضع لفظة (ع ص ر) لأفادة معنى الحبس ، هي التي حملته أيضا على أن يعبر عن المدلول نفسه بلفظ (أزل) فالعين أخت الهمزة ، والصاد أخت الزاي ، والراء أخت اللام .[٧٨]

وقد اصطلحوا على أنّ الإشتقاق الأكبر هو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاما لايتقيد بالاصوات نفسها ، بل

---

[٧٧] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

[٧٨] الخصائص ٢ / ١٥٠ .

بترتيبها الاصلي والنوع الذي تتدرج تحته ، وحينئذ متى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الاصلي ، فلابد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة ، سواء احتفظت باصواتها نفسها أم استعاضت عن هذه الاصوات أو بعضها بحروف آخر تقارب مخرجها الصوتي ، أو تتحد معها في جميع الصفات ، من ذلك تناوب اللام والراء في"هديل الحمام وهديره " ، والقاف والكاف في " كشط الجلد وقشطه " والباء والميم في" كبحت الفرس وكمحته " ... وهذه الأمثلة كلها في تقارب المخرج الصوتي .

ومن الأمثلة على الأتفاق في الصفات : تناوب الصاد والسين في " سقر وصقر" و " سراط وصراط " و " ساطع وصاطع " و " مسقع ومصقع " وهكذا .

وابن جني قد أورد في باب " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " كثيرا من الأمثلة المتعلقة بهذا النوع من الإشتقاق وقال فيه : " وهذا باب واسع ، من ذلك قول اللّه سبحانه : { إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا } ، أي تزعجهم وتقلقهم ، فهذا في معنى تهزهم هزا ، والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين ، كأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة ، لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز ، لأنك قد تهز ما لابال له ، كالجذع وساق الشجرة ، ونحو ذلك .

ومنه العسف والاسف ، والعين أخت الهمزة ... فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين ، ومنه القرمه، وهي الفقرة تحز أنف البعير ، وقريب منه قلّمت اظافري ، لأن هذا انتقاص للظفر ، وذلك انتقاص

للجلد ، فالراء أخت اللام ، والعملان متقاربان ، وعليه قالوا فيها الجرفة ، وهي من (جرف) وقريب من الجّلف ، وهو الميل ، وإذا جلفت الشيء أو جرفته ، فقد أملته عما كان عليه ، وهذا من (ج ن ف) " [٧٩]

وربما لا يكون في هذه الأمثلة تعسف في التطبيق ، وايغال في التعليل ، ولكن التعسف يظهر أشد ما يكون بعدا عن المنطق في مثل قول ابن جني : " نعم وتجاوزوا ذلك إلى ضارعوا بالأصول الثلاثة الفاء والعين واللام ، فقالوا: عصر الشيء ، وقالوا: أزاله ، إذا حبسه ، والعصر نوع من الحبس ، وذلك من (ع ص ر) ، وهذا من (أ ز ل) والعين أخت الهمزة ، والصاد أخت الزاي ، والراء أخت اللام

و قالوا : الأزم ، المنع والعصب : الشدّ ، فالمعنيان متقاربان ، والهمزة أخت العين ، والزاي أخت الصاد ، والميم أخت الياء ، وذلك من (أزم) وهذا من (ع ص ب) وقالوا : السّلب والصرف ، وإذا سلب الشيء ، فقد صرف عن وجهه ، فذاك من (س ل ب) وهذا من (ص ر ف) والسين أخت الصاد ، واللام أخت الراء ، والباء أخت الفاء .

وقالوا : الغدر ، كما قالوا : الختل ، والمعنيان متقاربان ، واللفظان متراسلان ، فذاك من (غ د ر) وهذا من (خ ت ل) فالغين أخت الخاء ، والدال أخت التاء ، والراء أخت اللام ، وقالوا : زأر ، كما قالوا : سعل ، لتقارب اللفظ والمعنى إلخ ... " [٨٠]

---

[٧٩] الخصائص ٢ / ١٤٥ -١٥٢ .

[٨٠] الخصائص ٢ / ١٥٠ ومابعدها .

وإذا كان الإشتقاق الكبير يقوم على القلب ، فمن الواضح أن الإشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال ، وقد أدرك لغويو العرب إمكان وقوع الإبدال ، مثلما تصوروا، إمكان وقوع القلب ، وأنشؤوا يلتمسون الشواهد على تماثل المعنى بين الصورتين ، المبدلة والمبدل منها ، وانطلقوا يؤكدون أن " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام البعض ، ويقولون : مدحه ومدهه ، وفرس ورفل ورفنّ ، وهو كثير مشهور، قد ألف فيه العلماء " .[٨١]

وإن أدنى ملابسة لتكفي لربط القدماء بين الصورتين ، إذ بدا لهم أنهما اشتركتا في معنى متقارب ،مع أن كثيرا من هذا التقارب لا يزيد عن الترادف تارة ، والإشتراك تارة أخرى ، ومن الغريب أن ابن السكيت مثلا في القلب والإبدال لم يذكر في الثلاث مئة كلمة التي اشتملت عليها رسالته ، إلا القليل ، مما يمكن أن يفسر بظاهرة الإبدال تفسيرا صريحا ، وسائر مااستشهد به بعد ذلك ، لم يختلف لفظه إلا في حرف واحد ، كالنون واللام في " التهتان " و " التهتال " وكلاهما يعني سقوط المطر .[٨٢]

أما المحدثون فلهم في هذا الاشتقاق الأكبر رأي آخر يردّون في ضوئه أكثر صور الإبدال إلى ضرب من التطور الصوتي الذي يدخل أحيانا في اختلاف اللهجات .

وقال الدكتور ابراهيم أنيس : " حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها الإبدال حينا ، أو تباين اللهجات حينا آخر ، لا نشك لحظة

---

[٨١] الصاحبي / ١٧٣ .

[٨٢] أنظر دراسات في فقه اللغة / ٢٣٨ .

في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي ، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يتجاوز حرفا من حروفها ، نستطيع أن نفسرها على أن احدى الصورتين هي الأصل ، والأخرى فرع لها أو تطور عنها ، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه [٨٣]

ورأي المحدثين على جرأته أسلم اتجاها ، وأصح نتيجة من رأي تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا إلى إكثار العرب الإبدال ، كأنه سنة أو عادة ، وكأن النطقين المختلفين عندهم متساويان ، يوضع أحدهما مكان الآخر ، وكأنهم يعتمدون هذا الإبدال إعجابا وتفننا فيه .

على أننا لم نعدم بين المتقدمين من كان يرد كثيرا من صور الإبدال إلى اختلاف اللهجات ، مؤكدا أن العرب لا تعتمد تعويض حرف من حرف ، " إنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في حرف لمعنى واحد ، حتى لايختلفا إلا في حرف واحد " [٨٤]

وعندما تحدثنا عن اختلاف اللهجات ، ذكرنا كثيرا من الأصوات التي تباين أداؤها بين قبائل العرب ، لاسيما قريش وتميم ، كالتاء والفاء في لثام ولغام ، والظاء والضاد في فاضت نفسه ، وفاظت ، والسين والصاد في السمخ والصمخ ، والقاف والكاف ، في قشطت وكشطت ،

---

[٨٣] من اسرار اللغة / ٥٨ ط٢ .

[٨٤] المزهر ١ / ٤٦٠ .

والجيم والياء ، في صهريج وصهري ، فلا يعقل أن يشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون[٨٥]

ومما يدل على أن هذه الأحرف لهجات مختلفة ما رواه اللحياني [٨٦] ، قال : " قلت لأعرابي ؛ أتقول مثل حنك الغراب ، أو مثل حلكه ؟ فقال : لا أقول مثل حلكة ! [٨٧]

لاأقولها أبدا ![٨٨] وليست قصة الإختلاف في الصقر والسقر والزقر عنا ببعيد ، ولاتقل عنها طرافة قصة امام الصرفيين أبي عثمان المازني [٨٩] مع الخليفة الواثق بالله ، حين غنّت جارية بحضرته بقول : العرجيّ :

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدي السلام تحية ظلم

فأختلف من كان بالحضرة من اعراب (رجلا) فمنهم من نصبه ، ومنهم من رفعه ، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني ... إياه بالنصب ، فأمر الواثق بنصبه .

وقال أبو عثمان : فلما مثلت بين يديه قال : فمن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : بارك اللّه فيه – ولا دراك ، ويوم علكّ أكّ عليكّ أكيك شديد الحر [٩٠] وشيء فذّ – بذّ [٩١] ، كلها من قبيل الاتباع ، وودّوا

---

[٨٥] المصدر نفسه ١ / ٤٦٠ .

[٨٦] هو الإمام اللغوي المشهور علي بن حازم اللحياني ، أبو الحسن (ت ٢١٥ هـ) .

[٨٧] المزهر ١ / ٤٧٥ .

[٨٨] المزهر ١ / ٤٧٥ .

[٨٩] هو بكر بن محمد المشهور بالمازني ، إمام الصرفيين من أهل البصرة .

[٩٠] المزهر ١ / ٤٢٠ .

[٩١] المصدر نفسه ١ / ٤٢١ .

لو يجعلونها صورا من الإبدال لما لاحظوه في بعضها من تقارب في المخارج والصفات ! ؟

وبعد ، فإن غلو القوم في الاشتقاق الأكبر ، لا يستكثر عليهم ، فإن حدوده غير واضحة المعالم ، وإنه لمن الابحاث البكر التي وجدت من فراغ الوقت ونعومة البال وترف الفكر عند بعض العلماء ، ما أغني العربية باراء إن يك فيها وهم كثير ، ففيها أيضا خيال خصب !

لذلك يمكن أن نخلص إلى أن الاشتقاق كان كاشفا عن الاصل القديم ، دالا على الصلة والنسب ، وكان الاشتراك في المادة دليلا على وحدة الاصل ، ولو تفرقت المعاني واختلفت الاشكال ، وفيما يأتي أهم الاستنتاجات :

١ ٠الاشتقاق ، كما تبين لنا من العرض السابق ، هو توليد الألفاظ بعضها من بعض ، ولا يكون ذلك إلا من بين الألفاظ التي يفترض أن لها اصلا واحدا ترجع إليه وتتولد منه ، فهو في الألفاظ اشبه بالرابطة النسبية بين الناس ، فلابد لصحة الاشتقاق بين لفظين أو أكثر من عناصر ثلاثة :

الاشتراك في عدد من الحروف ، وهي في اللغة العربية ثلاثة ، وأن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيبا واحدا في هذه الألفاظ ، وأن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى ولو على تقدير الاصل ، ولكن هذا لا يشترط في الاشتقاق، في الاشتقاق الاكبر ٠

٢ ٠ ولاشك في أن هذه الطريقة في توليد الألفاظ بعضها من بعض ، تجعل من اللغة العربية جسما حيا تتوالد أجزاؤه ، ويتصل بعضها من بعض بأواصر قديمة واضحة ، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وإن هذا الإرتباط بين ألفاظ العربية الذي يقوم

على ثبات عناصر مادية ظاهرة ، وهي الحروف أو الاصوات الثلاثة ، وثبات قدر من المعنى ، سواء كان باديا ظاهرا أو مختفيا مستترا .

٣ . ولهذا كان الاشتقاق في اللغة العربية وسيلة رائعة لتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني الجديدة ، ولم ينقطع سيل الألفاظ الجديدة في اللغة العربية [٩٢].

ففي صدر الإسلام وفي العصور التالية ، وفي العصر الحديث ، ظهر عدد كبير من الألفاظ لأداء المعاني الجديدة للدلالة على أفكار واشياء مادية ، وذلك بطريقة اشتقاق لفظ جديد من مادة قديمة ، كالجهاد والزكاة والعامل وكالعرض (المقابل للجوهر) والتأليف والتصعيد والتجريح والتعديل والشعوبية والتصدير والإذاعة والرأسمالية .

وكان الاشتقاق كذلك طريقا للتجديد والتنويع الفني ، كاستعمال القرآن للفظ " الواقعة والغاشية ، والطامة والقارعة " بمعنى القيامة لتجديد اللفظ ، وإلباس المعنى حلة جديدة ، وربما ألقى اللفظ بظله على معنى آخر ، فأكسبه بذلك جمالا وجدة ، ونلحظ مادة (شجر) في قول البحتري :

شواجر أرماح تقطع بينهم شواجن أرحام ملوم قطوعها

٤ . وإذا كان الاشتقاق في اللغة العربية مظهرا من مظاهر حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد ، فأنه كذلك مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطبيعة في إرجاع الجزئيات إلى الكليات ، وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع .

وتتجلى في ذلك مقدرة اللغة العربية في الربط والتصنيف ، سواء في الألفاظ أو في المعاني ، وتطبع بذلك عقلية اصحابها بهذا الطابع المنطقي

---

[٩٢] أنظر فقه اللغة وخصائص العربية / ٧٧ – ٨٠ .

العلمي ، وإن شئت عكست ، فقلت : إن هذه الخاصية هي صدى ما في العقلية العربية من خصائص التفكير المنطقي العلمي [٩٣].

٥. والاشتقاق يدلنا على اصول الألفاظ ، فيمكننا من ربط الكلمة بأخواتها ، وأفراد المجموعة التي تنسب إليها ، وذلك مما يثبت معناها ويوضحه ، فإن كلمة سماء من (س م و) و (شتى) جمع (شتيت) من (شمتت) ... الخ .

والاشتقاق هو الطريق إلى حسن فهم اللغة والتفقه فيها ومعرفة اسرارها والدخول في عالمها الخاص ، فأنه يربط الألفاظ ويصل بين معانيها ، فأن معرفة مادة (ر ب و) تطلعنا على حقيقة معاني (الربا والربوة) وصلتها بمادة (ر ب ب) ومنها (التربية والرب والمربي) وفيها جميعا معنى الزيادة والنماء .

٦. وإذا كان الاشتقاق قد جعل ألفاظ اللغة العربية مجموعات ينظم كل واحدة منها سلك جامع مؤلف من مادة ومعنى ، فإنه بذلك اصبح كاشفا عن صل الألفاظ ، وسبيلا إلى معرفة الاصيل من الدخيل ، فإن الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالبا في معزل عن هذه المجموعات ، فلا تجد لها اصلا لفظيا ذا معنى ، يدل على اصالتها كالصراط والفردوس والكوب ، فليس في العربية مادة (ص ر ط) ولا (ف ر د س) ولا (ك و ب) هذا وإن بعض الألفاظ الدخيلة قد يخفى اصلها لالتحاقها باصل عربي لمشابهة لفظية ، ولابد للألفاظ الدخيلة من الإلتحاق باصل عربي ، شأنها في ذلك شأن الغرباء عند العرب ، إذ لابد من إلتحاقهم بالولاء لقبيلة عربية .

---

[٩٣] أنظر فقه اللغة وخصائص العربية / ٨١ .

وقد يكون بين هذا اللفظ الـدخيل والمـادة التـي الحـق بهـا تناسـبو تقارب بحيث يمكن تخريجه على الاصل العربي ، ولكن العبرة بـالرجوع إلى الحقيقة التاريخية لمعرفة الاصل ، وعلى سبيل المثـال (المقاليـد) بمعنى المفاتيح ، ومفردها (اقليد) ، ولصلها يوناني ، وهو kleida ٠

وقد يظن الناظر من غير بحث ، أنها عربية من مادة (ق ل د) وهوْ ظن خاطيء يكشف عنه البحث الاشتقاقي التاريخي ٠

٧ ٠ ولهذا يكون الاشتقاق هو الجسر الموصل بـين اللغـة والحيـاة الفكريـة والاجتماعية ، والسبيل إلى البحث في الصلة بين التعبير والتفكير والعمـل أو العادة عند الأمم ، ولم يعن به الباحثون المحدثون في اللغات الأجنبية ، عناية كافية ، كما أن قدماء الباحثين في اللغة العربية لم يبلغوا من بحثـه مبلغا شافيا ولا سبروا أغواره واستخرجوا اسراره ، وما زال مجال القول فيه واسعا رحبا ٠

٨ ٠ إن الاشتقاق الذي بحثناه فيما تقدم ، والقائم على اشراك الألفاظ في حروف ثلاثة اصلية ، هو الطريقة الاساسية التى لا تزال حية مستمرة في توليـد الألفاظ في اللغة العربية منذ العهود التي اكتملت فيها اللغة ، ونقلت إلينـا اثارها ونصوصها ، وهو المراد حين تطلق كلمة الاشتقاق تمييزا له مـن أنواع أخرى من الاشتقاق ٠